

## تفسير ابن كثير

يقول تعالى حاكما بتکفیر فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال منهم : بأن المسيح هو الله تعالى عن قولهم وتنزه وتقديس علوا كبيرا هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق وهو صغير في المهد أن قال : إني عبد الله ولم يقل أنا الله ولا ابن الله بل قال { إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنينبيا } إلى أن قال { وإن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته آمرا لهم بعبادة ربه وربهم وحده لا شريك له وللهذا قال تعالى : { وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربكم إنه من يشرك بالله } أي فيعبد معه غيره { فقد حرم الله عليه الجنة وأماواه النار } أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } وقال تعالى : { ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين } وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس : إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وفي لفظ : مؤمنة وتقديم في أول سورة النساء عند قوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به حديث يزيد بن سعيد عن عائشة : الدواوين ثلاثة ذكر منه ديوانا لا يغفره الله وهو الشرك بالله قال الله تعالى : { من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة } والحديث في مسند أحمد وللهذا قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأماواه النار وما للطلالمين من أنصار } أي وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منفذ مما هو فيه .

وقوله { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل حدثني أبو صخر في قول الله تعالى { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } قال : هو قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى : المسيح ابن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتنا اليهود والنصارى وال الصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقيل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة : وهو أقئوم الأب وأقئوم الابن وأقئوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن حجر وغيره : والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلفا متبينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تکفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة .

وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلىهين مع الله فجعلوا الله ثالثة بهذا الاعتبار قال السدي : وهي كقوله تعالى في آخر السورة { وإن قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلىهين من دون الله قال سبحانك } الآية وهذا القول هو الأظهر - وإن علم - قال الله تعالى : { وما من إله إلا الله واحد } أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا { وإن لم ينتهوا عما يقولون } أي من هذا الافتراء والكذب { ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم } أي في الآخرة من الأغلال والنkal ثم قال { أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرون له وإن غفور رحيم } وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه .

وقوله تعالى : { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } أي له سوية أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال { إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل } وقوله { وأمه صديقة } أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره من ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق ونبيوة أم موسى ونبيوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وبقوله { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه } وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال قال الله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى } وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري بالإجماع على ذلك . وقوله تعالى : { كانا يأكلان الطعام } أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منها فهما عبدان كسائر الناس وليسوا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيمة ثم قال تعالى : { انظر كيف نبين لهم الآيات } أي نوضحها ونظهرها { ثم انظر أني يؤمنون } أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون